

اليمن في عهود الإسلام الأولى

منذ بداية عهود الإسلام ، وحينما أخذت الرسالة المحمدية السمحة تتوسع وتنتشر، وجّه صاحبها اهتمامه إلى اليمن؛ فهذا الإقليم الواسع من الوجهة العامة يعتبر ناحية ذات أهمية بالنسبة للبلدان العربية، وبالنظر لموقعه الجغرافي الهام، ولأن أهل هذا القطر اشتهروا بالشجاعة والإقدام والثبات على المبادئ وصفاء السريرة، فضلا عن أنهم مثال النشاط والإخلاص والحفاظ على الكرامة والتراث، ولهذا نراهم قد قبلوا الدعوة الإسلامية عن صدق وإيمان، ولم تمض فترة قصيرة حتى أصبح الإسلام في أعماقهم متمكناً راسخاً. وكل هذه البوادر الطيبة، والظواهر النفسية العجيبة، حدث بالنبى الكريم إلى توجيه اهتمامه لهذا القطر، وإلى تخصيصه بالتعاليم الإسلامية الجديدة والتوجيه العقائدى الحديث النابع من الشريعة الإسلامية الغراء. فأرسل إليهم خواص أهل دعوته، وصفوة رجال المسلمين المؤمنين، لتعليمهم الإسلام وقواعده، ولحضهم على التمسك بأهدابه، والتظلل بظله. ومما هو ثابت تاريخياً أن النبى لم يكن يفضل أحداً من أهله أو أصحابه على على بن أبى طالب،

ولهذا جعل منه السفير الأول لهذا القطر ، والمسئول المباشر عن شئونه . ومن هنا تمكن من أن يكون له في اليمن مریدین مخلصين ومحبين كثيرين ظلوا إلى آخر لحظة في حياتهم أوفياء لمبادئهم مخلصين لتعهداتهم .

هذا ويحدثنا التاريخ أن الإمام علي بن أبي طالب زار اليمن ثلاث مرات ، وفي المرة الأخيرة وصل إلى « عدن أبين » وذكر ابن هشام أن محمداً (عليه السلام) بعث علياً إلى أهل نجران بعام الوفود ، وذلك ليجمع صدقتهم ويقدم عليهم بجزية . وقال كثير : إن محمداً (عليه السلام) أرسل علياً إلى اليمن قبل « حجة الوداع » فقدم إلى صنعاء ، وصلى برجالها ، وجمع قبائل همدان وقرأ عليهم كتاب النبي ، فأسلمت همدان جميعها في يوم واحد ، ولما وصل الخبر إلى النبي خرق ساجداً ثم رفع رأسه وقال : « السلام على همدان ... السلام على همدان ... » وقال علي في ذلك : بعثني رسول الله وأنا حديث السن . فقلت تبعثني إلى قوم لا يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء . فقال : « إن الله سيهدي لسانك ، ويثبت قدمك .. » قال علي : فما شككت في قضاء بين اثنين .

وقبل أن يعود علي من اليمن عمره مسجداً بصنعاء وعرف باسمه . فهما لا ريب فيه أن مثل هذه الاتصالات للإمام علي باليمن

تركت حبه حياً في نفوسهم ، وظل هذا الحب ينمو ويزداد مع الزمن ، حتى إن الإمام الفاطمي « الحسين بن أحمد ابن عبد الله » حين أرسل ابن حوشب « منصور اليميني » من سلمية - سوريا داعياً إلى اليمين أمره أن ينزل « بعدن لاعة » ، لأن فيها بعض من يدين بدعوته ، وعندما وصل إليها وجد كثيراً ممن يدينون له بالولاء ولآل بيته .

ومما تجدر الإشارة إليه أن أنصار علي في اليمين ظلوا يعملون في أكثر الأحيان على اكتساب الأنصار ، وضمهم إلى صفوفهم ، وحثهم أن علياً وحده أهل للخلافة ، وأولى الناس بمقام رسول الله ، وأحقهم بالإمامة والقيام بأمر الله والأمة ؛ وأن الخلفاء الذين سبقوه قد انتزعوا حق الإمامة والخلافة منه ، وكل هذا يدل على أن التشيع لعل بن أبي طالب ظل منتشراً ، وقد تجلت مظاهره في مواقف كثيرة . فلما رحل « عبد الله بن سبأ الصنعاني » إلى مصر بعد أن طاف بالكوفة والبصرة والشام ، التف حوله المسلمون هناك ، لأنه حمل على سياسة الخليفة الثالث عثمان التي كانت مثاراً للسخط في العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، ونادى بحب علي لأنه أولى من غيره بالخلافة ، فانضم إليه في مصر عدد كبير ، وفي مقدمتهم « محمد بن أبي بكر » وقد ساعد انضمامه على نجاح ابن سبأ في

مهمته ، لأنه النجل الأكبر للخليفة المناوي لعلي بن أبي طالب
ومن الجلى الواضح أن سبب رواج دعوة ابن سبأ في مصر
يعود إلى وجود عدد كبير من اليحنيين فيها ، وهم الذين جاءوا
مصر منذ عهد الفتح الإسلامي واستقروا فيها ، وهؤلاء اليحنيون
كانوا ممن يحبون علياً وآل بيته ، ويتشيعون لهم .

ومهما يكن من أمر فإن الذي ساعد على انتشار التشيع
في اليمن جهاد قبائل همدان مع الإمام علي في حروبه ،
وبعد ما قاله أمير المؤمنين علي في صفين دليلاً واضحاً على ذلك :
« يا معشر همدان أنتم درعى ورمحى ، والله لو كنت بواباً
على باب الجنة لأدخلتكم قبل جميع الناس ... وما نصرتم
إلا الله تعالى ، وما أحببتم غيره » ، فقال سعيد بن قيس
وزياد بن كعب : « أحببنا الله وإيالك ، ونصرنا الله وإيالك ، وقتلنا
معك من ليس مثلك ، فارم بنا حيث شئت » .

فلا عجب بعد هذا إذا ما رأينا همدان تضحى بكل غالٍ
ونفيس في سبيل الإمام علي مادام أنه عدّ هادره ورمحه . وليس أدل
على حبه لها وحسن تقديره لجهادها في سبيله من هذه القصيدة :
ولما رأيتُ الخيل تُقرع بالقنا فوارستها حمر النحور دواهي
ونادى ابنُ هندٍ ذا الكلاع ويُحْصَبُ وكندة معُ نلحمٍ وحى جذام
تيممتُ همدان الذين همُّهم إذا ناب أمر جنتي وسهامي

وناديتُ فهم دعوة فأجابني فوارس من همدان غير لثام
رجال يحبون النبي ورهطه لهم سالف في الدين غير أثم
همُ نصرونا والسيوف كأنها حريق تاضى في هشيم ثمام
فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لحمدان ادخلوا بسلام
هذا ويعد مالك الأشتر النخعي قائد جيوش على من الأمثلة
البارزة التي لعبت دوراً مهماً في الحروب التي خاضها ،
وأبلى بلاء حسناً ، وخاصة في موقعي الحمل وصفين .
ويدل موقفه من التحكيم في صفين على مقدار إخلاصه وتفانيه
في الحصول على النصر ، فقال عندما رفع جند معاوية المصاحف
ووافق جند العراق على التحكيم :

« يا أهل العرق . . . أحين ظن القوم أنكم لم قاهرون ،
رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وهم والله قد تركوا
ما أمر الله به فيها ، وسنة من أنزلت عليه ، فأمهلونى ،
فقد طمعت في النصر ، وأنتم الآن إذا أمسكن عن القتال
مبطلون ، أم أنتم الآن محقون » . فأجابوا : دعنا منهم يا أشتر ،
فقال : خذعتم فأنخذعتم . واستهزئ بهم ولكن دون جدوى .

هذا ... وكان البراء بن وريد العذري اليماني من الأمثلة
الواضحة التي تدل على حب اليمينيين لإظهار كلمة الحق ،
وإغاثة المظلومين والضعفاء ، فقد حارب هذا مع معاوية

في موقعة صفين ، ولكن البراء نقم على معاوية عندما منع أصحاب على ماء الفرات : فقام إلى معاوية وقال : سبحان الله العظيم ! حين سبقته ووجههم إلى الفرات تمنعهم الماء ، وإن فيهم العبد والأجير والأمة ومن لا ذنب له ، هذا والله أول الجور ، لقد بصرت المرتاب ، وشجعت الجبان ، وحملت من لا يريد قتالك على كتفيك ... فقال معاوية لعمر بن العاص : اكفني صديقك الممداني لا يفسد على عسكري ، فقام إليه عمرو فأغظ له ، فأنشأ البراء يقول :

لعمرو أبا معاوية بن حرب وعمرو مالايتهما وفاء
سوى طعن يحار القبيل فيه وضرب حين تبتاع الدماء
فلست بتابع دين ابن هند طوال الدهر ما أرسى حراء
وعندما جن الليل لحق البراء بجيش على فظل يقاتل حتى قتل.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التشيع ظل متسترًا في بلاد اليمن فترة طويلة ، واستمر المتشيعون في ولائهم لعلي وبيته بالرغم مما لاقوه من ضغط الحكام والولاة ، وقد ظلت الفرقة الشيعية تعمل في الخفاء ثم تعود إلى الظهور كلما سنحت لها الفرصة وساعدتها الظروف ، ومما يدل على انتشار هذا المبدأ في بعض جهات اليمن ، وعلى وجه خاص في منطقة «عدن لاعة» قول السيد الحميري معرّفًا بنفسه مفتخرًا على الفرقة الأباضية :

إن تسألني بقومى تسألى رجلا فى ذروة العزم من أحياء ذى يمن
حولى بها ذوكُلاع فى منازلها وذو رعين وهمدان وذو يزَن
والأزدُ أزدُعمان الأكرمون إذا عُدَّت مآثرهم فى سالف الزمن
بانت كريمتهم عنى فدارهم دارى وفى الرحب من أطانهم وطنى
لى منزلان بلحج منزل وسط منها ولى منزل للعزّ فى عدن
ثم الولاء الذى أرجو النجاة به من كبّة النار للهادى أبى الحسن
ولعل انتشار التشيع والمتشيعين سرّاً وعلانية فى بلاد اليمن
كان من أهم الأسباب التى دعت الإمام الفاطمى المستور
« الحسين بن أحمد بن عبد الله » سنة ٢٦٨ هـ إلى إرسال
ابن حوشب « منصور اليمن » من سلمية - سوريا إلى تلك
النواحي من اليمن كما سبق أن ذكرنا ، كما كانت من أهم
الأسباب التى حملت بعض قبائل اليمن على الانضمام إلى دعوة
الإسماعيليين .

وكل هذا يجعلنا نقرر : أن اليمن يعد حصناً منيعاً من
حصون الشيعة ، بل مستودعاً من مستودعاتها ، لأن أهلها برهنوا
فى مواقف كثيرة على حبهم لعلى وبنيه ، ويعدّ انتشار
التشيع فى تلك البلاد وقيام الدواة الإسماعيلية من العوامل التى
أضعفت العلاقات التى كانت تربط اليمن بالعباسيين الحاكمين .